فناء النار وخلف الوعيد بين الرحمة وإغراء العبيد

THE EXTINCTION OF HELL AND THE DEFERRAL OF THE THREAT BETWEEN MERCY AND THE ENTICEMENT OF THE SERVANTS

Mohammad Amin Ali Eyssa, Ahmad Najaa bin Mokhtar
Faculty of Leadership and Management, Islamic Science University of Malaysia
(Corresponding author) e-mail: maminali@usim.edu.my

Abstract
This research addresses the claim of some that the belief that unbelievers will remain in Hell forever contradicts divine mercy, and that it is not reasonable because sins in this world are limited in time and place, while eternity in Hell is endless This contradicts divine justice,The research relies on the descriptive analytical method with criticism of statements that contradict the Muslim The proponents of this claim relied on old sayings repeated by their owners.that Hell will be destroyed, or that God Almighty will break His threat, as the Ash'arites say. The research aims to demonstrate the invalidity of these statements because the Ash'aris only said that it is rationally permissible, while they agreed that the news came about the eternity of the unbeliever in Hell and that God Almighty will not pardon the unbelievers, both in news and transmission. Among the results of the research is that the promotion of these statements is not an expansion of the door of divine mercy, which is present with all creation, but with it also comes obligations and means to facilitate the performance of obligations. Moreover, repeating these sayings serves only to tempt slaves to disbelieve and to tempt believers to neglect their faith. This study will present the most important beliefs related to Heaven and Hell in Islam and will address the arguments of those who claim Hell will cease to exist and who falsify divine threats under the pretext of divine mercy. Ultimately, we will conclude that this is a temptation to create, not an expansion of divine mercy.

Keywords: *The annihilation of Hell, behind the threat, divine mercy, the temptation of slaves, Heaven and Hell do not perish.*

Submission date:
12 April 2025
Received in revised form:
13 April 2025
Acceptance date:
15 May 2025
Available online:
26 June 2025
Competing Interest:
The author(s) have declared that no competing interest exists.

ملخص

يتناول هذا البحث ادعاء البعض أن القول بخلود الكافرين في النار يتعارض مع الرحمة الإلهية، وأنه ليس معقولا لكون المعاصي في الدنيا محدودة الزمان والمكان بينما الخلود في النار لا نهاية له، وهذا يتعارض مع العدل الإلهي، والبحث يعتمد على المنهج الوصفي التحليلي مع نقد الأقوال المخالفة لعقيدة المسلمين فيها، وقد اعتمد أصحاب هذا الادعاء على أقوال قديمة ردد أصحابها أن النار ستفنى، أو أن الله تعالى سيخلف وعيده كما يقول الأشاعرة، ويهدف البحث إلى بيان بطلان هذه الأقوال؛ لأن الأشاعرة لم يقولوا إلا بالجواز العقلي مع إجماعهم على أن الخبر قد جاء بخلود

الكافر في النار، وأنه تعالى لن يعفو عن الكافرين خبرا ونقلا، ومن نتائج البحث: أن ترويج هذه الأقاويل ليس توسيعا لباب الرحمة الإلهية التي هي موجودة بالفعل مع كل الخلق، لكن معها أيضا تكاليف ووسائل تيسير أداء التكاليف، وأيضا أن ترديد هذه الأقاويل إنما هو إغراء للعبيد لعدم الإيمان، وإغراء للمؤمن بالتقصير في دينه. وسوف يعرض هذا البحث أهم العقائد المتعلقة بالجنة والنار في الإسلام، وشبهة من ادعى فناء النار وخلف الوعيد الإلهي بحجة الرحمة الإلهية، لتوصل في النهاية أن هذه الأقاويل فيها إغراء للخلق، وليس توسعة للرحمة الإلهية.

الكلمات المفتاحية: فناء النار، خلف الوعيد، الرحمة الإلهية، إغراء العبيد، الجنة والنار لا تفنيان.

مقدمة

إن مما ورثه المسلمون من مسائل العقيدة والتي مصدرها الأول القرآن والسنة، ثم ما أجمعت عليه الأمة؛ عقيدتها حول الجنة والنار، والعقيدة في أمر الجنة والنار لا تقتصر على مسألة واحدة، بل هناك مسائل كثيرة تتعلق بهما، مثل: هل هما موجودتان الآن أم سيخلقان يوم القيامة؟ وإذا كانتا موجودتين فهل تفنيان مع ما يفنيه الله تعالى من الخلق ثم يخلقهما خلقا جديدا أم لا تفنيان؟ وما الغاية من خلقهما؟ وهل النعيم والعذاب باقيان لا يفنيان أم منهما مما يفني ويبيد؟ وإذا قيل إن للنعيم والعذاب نهاية فما سبب هذه النهاية؟ وهل تتناهي المقدورات الإلهية؟ وهل يجوز خلف الوعيد الإلهي لأهل النار؟ وهل الرحمة الإلهية تقتضي فناء النار وعدم بقائها أم لا؟

ورغم أن هذه المسائل من الغيبيات؛ أي من المسائل السمعية التي لا تُعرف إلا من خبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، والواجب في السمعيات التسليم خاصة وأن العقل لا يحيل ذلك؛ رغم هذا فقد أُوِّلت النصوص للوصول إلى رأي فيهما يخالف ظاهر تلك النصوص، ويصادم ما عليه إجماع الأمة.

وقد وُجد في التاريخ الفكري الإسلامي من يقول بفناء النار مخالفا بذلك النصوص، وإجماع الأمة، وكان هذا الخلاف محله الوحيد كتب العلم، ولم يخرج إلى العامة، ولم يناقش علانية، حتى ظهر في هذا العصر الذي سهل فيه الوصول إلى الناس في بيوتهم عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي– ظهر من أعاد الكلام فيه على الملأ، وانتشرت دعاوى أن الكافر سيدخل الجنة استنادا إلى قول الأشاعرة بجواز خلف الوعيد، أو أن النار ستفنى اعتمادا على أن الخلود في النار يعارض رحمة الله الواسعة، فليس من العدل أن يعاقَب الإنسان على معصية محدودة الزمان والمكان بعقوبة أبدية، وتكون بهذه القسوة التي سيكون عليها عذاب أهل النار.

فالكلام حول النار دائر بين أمرين: إما فناء النار وانتهاء العذاب وأهل النار؛ لأن بقاء النار يخالف الرحمة الإلهية، أو لأن المقدروات الإلهية تتناهي. وإما خلف الوعيد وإدخال أهل النار الجنة اعتمادا على ما ورد عن الأشاعرة من قولهم إنه يجوز عقلا أن يخلف الله تعالى وعيده. ومن هنا كان تناول هذا الموضوع بالبحث ضرورةً؛ لبيان عقيدة الإسلام في هذه القضية؛ حتى لا يغتر أحد من المسلمين فيهمل الطاعة اتكالا على واسع الرحمة الإلهية، ولا يغتر أحدٌ من الكافرين فيقعد عن البحث عن الحق اتكالا على فناء النار أو خلف الوعيد.

وسوف يكون البحث في أربعة مباحث: المبحث الأول: العقائد الأساسية حول الجنة والنار. المبحث الثاني: خلف الوعيد. المبحث الثالث: فناء النار والرحمة الإلهية. المبحث الرابع: الرد على من قال بفناء الجنة أو النار

المبحث الأول

العقائد الأساسية حول الجنة والنار

يتعلق بالجنة والنار مجموعة من العقائد التي أجمع عليها أهل السنة وعامة المسلمين، ولم يخالف فيها إلا قلة من المسلمين، وهذه المبحث فيه مسائل:

المسألة الأولى: الجنة والنار موجودتان الآن خلقهما الله تعالى.

اعلم إن عقيدة أهل السنة والجماعة قائمة على أن الله تعالى خلق الجنة والنار، وأنهما موجودتان الآن، والدليل على ذلك قصة آدم وحواء عليهما السلام؛ فقد ذكر في القرآن الكريم إسكانهما الجنة وإخراجهما منها، وكذلك قوله تعالى عن آل فرعون: (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) (غافر 46) وقوله تعالى في صفة الجنة: (أعدت للمتقين) (آل عمران 13) وفي حق النار (أعدت للكافرين) (البقرة 24) ومعنى أعدت: هيئت. ومن تتبع الأحاديث الصحيحة وجد فيها شيئا كثيرا مما يدل على وجودهما الآن دلالة ظاهرة[1].

وفي شرح الإرشاد للأنصاري يقول في هذه المسألة[2]: قال أهل الحق الجنة والنار مخلوقتان، والعقل لا يحيل خلقهما ووجودهما، والذي يشهد لذلك قوله تعالى: (وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين) [آل عمران 133] وقول تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) [البقرة 24] والإعداد يصرح بثبوت الشيء وتحققه، وقوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) [النجم 13-15].

[1] Al-Shafiʿi, Shihab al-Din al-Kilani. *Sharḥ al-ʿAqāʾid al-ʿAḍuḍiyyah*. Tunis: Dār Ibn ʿArafa, p. 84–85.
[2] Abū al-Qāsim al-Anṣārī. *Sharḥ al-Irshād*. Edited by Dār al-Ḍiyāʾ. Kuwait: Dār al-Ḍiyāʾ, vol. 2, p. 340.

الجهمية والمعتزلة ينكرون وجود الجنة والنار الآن

أنكرت الجهمية [3]، وطائفة من المعتزلة [4]، أن الله تعالى خلق الجنة والنار الآن، وإنما يخلقان يوم الجزاء؛ لأن عرض الجنة كعرض السماوات والأرض، فكيف تكونان موجودتين فيهما؟ وقال بعضهم: إنه لا فائدة في خلقهما، وزعم بعضهم أنه يستحيل في العقل خلق دار الثواب والعقاب قبل حلولهما بالمكلفين.

رد الأشاعرة على إنكار وجود الجنة والنار الآن.

ردت الأشاعرة على هذه الأقوال من وجوه: أنهما موجودتان في عالم الملكوت، ولا شك أنه غير متناه، وعالم المِلكِ– أعني السماوات والأرض– متناهٍ وعرض بعض الجنة كعرض السموات والأرض. وكذلك لا يبعد أن يقع في المعلوم أن في خلقهما لطفا ومصلحة للمكلفين ترغيبا لهم وترهيبا؛ فيحرضهم ذلك على أداء الفرائض والواجبات العقلية، ولو لم يخلقهما لتكاسل طوائف من الخلق عن أدائها، وذلك غير مستبعد على موجب قياسهم في الصلاح واللطف والأصلح، وليس من البعيد في الحكمة أن يهيئ الكريم مأوى عبيده [5].

وقولهم: إنه لا فائدة من خلقهما قبل خلق أهلهما فالجواب عنه بمنع تعليل جميع أفعاله تعالى بالأغراض، بل هو تعالى يخلق ما يشاء، ويحكم ما يريد، فلا يجب عليه رعاية المصلحة[6].

المسألة الثانية: النار دار العذاب والشقاء لمن مات على الكفر؛ كما أن الجنة دار النعيم لمن مات على الإيمان. قال تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِير وَشَهِيق، خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّال لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذ) [هود: 106-108])

[3]Atbāʿ Jahm ibn Ṣafwān, qutila fī ākhir al-dawlah al-Umawiyyah. Manaʿa Jahm an yūṣafa Allāh taʿālā bi-ṣifah yūṣafu bihā shayʾun min khalqih, wa-athbata li-llāh taʿālā ʿulūman ḥādithah lā fī maḥall, wa-qāla bifanāʾ al-jannah wa-l-nār. Rājiʿ: al-Shahrastānī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Karīm, *al-Milal wa-l-Niḥal*, al-Qāhirah: Muʾassasat al-Ḥalabī, p. 133. Wa-yunẓar fī qawl al-Jahm: Ibn Taymiyyah, Aḥmad ibn ʿAbd al-Ḥalīm, *al-Radd ʿalā man qāla bifanāʾ al-jannah wa-l-nār*, al-Riyāḍ: Dār Balansiyyah, 1995, p. 42.

[4] Minhum: ʿAbbād al-Ṣaymarī, wa-Ḍirār ibn ʿAmr, wa Ibn al-Jubbāʾī. Yunẓar: al-Hamadhānī, ʿAbd al-Jabbār, *Sharḥ al-Uṣūl al-Khamsah*, al-Qāhirah: Maktabat Wahbah, 1996, p. 625.

[5]Abū al-Qāsim al-Anṣārī, *Sharḥ al-Irshād*, 3:343.

[6]Al-Nādī, ʿArafah ʿAbd al-Raḥmān. *al-Jannah wa-l-Nār: Thubūthuhumā wa-Baqāʾuhumā bayna Ahl al-Sunnah wa-l-Mukhālifīn*. Cairo: Ḥawliyyah Kulliyyat Uṣūl al-Dīn, Jāmiʿat al-Azhar, 2020H, p. 2008.

المسألة الثالثة: هل الجنة والنار تفنيان يوم القيامة ثم يخلقهما الله تعالى مرة أخرى أم لا تفنيان؟

ذهب بعض من قال بأنهما مخلوقتان الآن إلى أنهما تفنيان ثم تُعَادان مستدلين بقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) [القصص 88] وقوله تعالى: (هو الأول والآخر) [الحديد 3] حيث قالوا: لا يكون أخرا إلا بعد فناء جميع الخلائق، (والذي صار إليه أئمة الحديث أنهما لا تفنيان، وأن المراد بقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) ما سوى الجنة والنار في النفخة الأولى.

وقد رجح البعض أن معنى قوله: (هالك) جائز الهلاك، إلا الله تعالى فإنه واجب البقاء، وأنه سبحانه وتعالى الآخِر بعد فناء السموات والأرض وما فيهما سوى الجنة والنار وسكانهما من الحور والزبانية، وذلك مما استثناه الله تعالى بقوله سبحانه: (فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله) [الزمر 68] وفي بعض الأخبار: أن الشهداء من جملة ما استثناه الله تعالى أيضا) [7].

المسألة الرابعة: إثابة الطائعين وعد، وعقاب العصاة وعيد، وكلاهما مقطوع بهما كما ورد السمع، والله تعالى لن يخلف وعده ولا وعيده كما جاءت بذلك الأخبار القطعية، (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ [آل عمران: 9]) (وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ [الروم: 6])، وقد أجمع على ذلك المسلمون باختلاف طوائفهم، إلا أنهم اختلفوا في علة الثواب والعقاب فعند أهل السنة العقاب عدل والثواب فضل، وعند المعتزلة الثواب والعقاب عدل.

هذا من جهة السمع؛ أما من جهة العقل فالثواب وعد، ولن يخلفه الله تعالى؛ لأن خلف الوعد نقص، والله تعالى منزه عن النقائص، فاتفق العقل مع السمع في جهة الوعد أي: الثواب.

وأما خلف العقاب فهو وعيد، وخلف الوعيد كرم، فيجوز عقلا أن يخلف الله تعالى وعيده ولا يترتب على ذلك محال، إلا أن النصوص قد جزمت بعقاب الكافر فالعقاب مقطوع به سمعا[8]. وسوف نتناول مسألة خلف الوعيد في المبحث الثاني.

المسألة الخامسة: من مات على الكفر فهو مخلد في النار

عقيدة أهل السنة فيمن مات على الكفر أنه مخلد في النار لا يخرج منها، وهذا الأمر لا يعرَف بالعقل لأنه من الغيبيات، ولذلك فمعتمد أهل السنة هو السمع، لا العقل، وقد أجمعت الأمة على ذلك إلا من شذ من بعض الأفراد الذين رأوا تناهي المقدورات أو انقلاب العذاب عذوبة أو غير ذلك، وهذا ما قرره أهل السنة فقد (اتفق المسلمون على أن الكفار

[7] Abū al-Qāsim al-Anṣārī, *Sharḥ al-Irshād*, vol. 3, p. 341.
[8] Shaykh Ibrāhīm al-Laqqānī, *Hidāyat al-Murīd li-Jawharat al-Tawḥīd* (Cairo: Dār al-Baṣāʾir, 2009), vol. 1, p. 549.

إذا كانوا معاندين بكفرهم بأن كفروا بعد ظهور الحق لهم فهم مخلدون في النار غير معذورين، وأما إن نظروا وبالغوا في الاجتهاد فأدَّاهم النظر والاجتهاد إلى الكفر، وعجزوا عن إدراك الحق فمذهب أهل الحق أنهم أيضا كالمعاندين فيما يرجع إلى الخلود في النار)[9] . فمن مات مؤمنا حكمنا بأنه يخلد في الجنة، والكافر يخلد في النار (حكم المؤمن الخلود في الجنة، وحكم الكافر الخلود في النار، ويختص المنافق بالدرك الأسفل)[10] .

المبحث الثاني

خلف الوعيد

الوعيد هو الإيعاد ومعناهما: الإنذار والتهديد والوعد بالعقاب، والوعيد والإيعاد في الشر [11]. وقد تعلل جماعة لقولهم بفناء النار بقول الأشاعرة: إنه يجوز عقلا أن يثيب الله العاصي ويدخله الجنة، وهي المسألة المعروفة علميا بـ: (خلف الوعيد) ويظنون أنهم بذلك قد آووا إلى ركن شديد، والحق أن الأشاعرة يعتقدون يقينا وبالإجماع أن الكفار مخلدون في النار، وهو ما لم يخالف فيه أحد منهم، وسوف ننقل نصوصهم على هذا.

متى ظهرت قضية خُلف الوعيد؟

قضية خلف الوعيد فرضها واقع علمي صاغه إصرار المعتزلة على القول بالوجوب على الله تعالى تفريعا على القول بالتحسين والتقبيح العقليين، ومما أوجبه المعتزلة على الله تعالى: أن يثيب الطائعين وأن يعاقب العاصين، وأنه إذا لم يفعل ذلك صار ظالما، والله تعالى هو العدل فصار إثابة الطائع وعقاب العاصي واجبا عليه تعالى لا يصح عقلا أن يتركه، فالله تعالى عندهم (لابد أن يفعل الواجب) [12].

وقد كان رد أهل السنة على المعتزلة موجها أولا على الأساس الذي بنوا عليه هذه الأقاويل وهو قولهم بالوجوب على الله تعالى، فأبطلوا القول بالوجوب عليه تعالى، وإذا كان الأساس باطلا فقد بطل كل ما تفرع عنه، ومنه القول بأنه تعالى يجب عليه أن يثيب الطائعين أو يعذب العاصين، فقالت الأشاعرة: يجوز أن يعذب الله تعالى الطائعين ويثيب العصاة ولا يلزم من ذلك محال؛ لأنه ليس لأحد على الله تعالى حق، ولا واجب، بل الكون كله تفضل منه سبحانه

[9] Sayf al-Dīn al-Āmidī, *Abkār al-Afkār* (Cairo: Dār al-Kutub wa-l-Wathāʾiq al-Qawmiyyah, 1424H/2004), vol. 5, p. 107.
[10] Saʿd al-Dīn al-Taftāzānī, *Sharḥ al-Maqāṣid* (Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1419H/1998), vol. 5, p. 230.
[11] Abū Naṣr al-Jawharī, *al-Ṣiḥāḥ: Tāj al-Lughah wa-Ṣiḥāḥ al-ʿArabiyyah* (Beirut: Dār al-ʿIlm li-l-Malāyīn, 1987), vol. 2, p. 551.
[12] Al-Qāḍī ʿAbd al-Jabbār al-Hamadhānī, *al-Mughnī fī Abwāb al-Tawḥīd wa-l-ʿAdl* (Cairo: Dār al-Maʿārif), vol. 6, p. 3.

وتعالى، فلا يلزم من إثابة العاصي وعقاب الطائع محال؛ هذا إذا افترضنا أن الله تعالى لم يعاقب مذنبا أو لم يثب طائعا، وهذا هو ما يعرف بخلف الوعد والوعيد، أما الوعد فيترتب على خلفه محال وهو النقص، والنقص على الله تعالى محال ليس لأن العقل أوجب أن يثيب الله الطائع وإنما لأن العقل أحال النقص عليه تعالى وخلف الوعد نقص، لكن الأمر لم يقف عند الحكم العقلي فقط؛ بل هناك حكم للشرع في المسألة وهو أن الله تعالى أخبر أن من مات مؤمنا دخل الجنة تحقيقا للوعد الإلهي الذي لا يتخلف أبدا، لأن خلف الوعد نقص، والله تعالى منزه عنه.

وأما من مات كافرا فإنه يدخل النار تحقيقا للوعيد الإلهي، لكن لما كان خلف الوعيد كرم قالت: الأشاعرة يجوز أن يخلف الله وعيده؛ لأنه لا يترتب عليه نقص عرفا، ولكن لما جاء الخبر بأن من مات كافرا فهو في النار التزمت الأشاعرة بهذا سمعا، فإصرار الأشاعرة على أنه لا يترتب على إثابة العاصي وعقاب الطائع نقص إنما كان حتى لا يعتقد أحد أن له حقا عند الله يجب أن يؤديه له لو لم يفعل لكان ظالما، وقولهم إن الله تعالى لن يخلف وعده ولا وعيده سمعا.

أدلة الأشاعرة على نفي الوجوب على الله تعالى

عقيدة أهل السنة أنه (لا يجب على الله تعالى شيء، وما أنعم به فهو فضل منه، وما عاقب به فهو عدل منه، ويجب على العبد ما يوجبه الله تعالى عليه، ولا يستفاد بمجرد العقول وجوب شيء؛ بل جميع الأحكام المتعلقة بالتكليف متلقاة من قضية الشرع وموجب السمع، والدليل على أنه لا يجب على الله تعالى شيء أن حقيقة الواجب: ما يستوجب اللوم بتركه، والرب سبحانه وتعالى يتعالى عن التعرض لذلك، والذي يوضح ذلك أن طاعات المكلفين تجب عند المعتزلة شكرا لله تعالى على ما أولاه من آلائه؛ فإن كانت الطاعات واجبة عوضا من النعم يستحيل أن يستحق مؤدي الواجب ثوابا، ولو جاز أن يستحق العبد على أداء الواجب عوضا لجاز أن يستحق الرب على الثواب شكرا وإن كان مستحقا)[13] .

وأيضا؛ فإن (قولهم إنه لا يجب عليه تعالى شيء: لأن الوجوب إنما يتحقق في حق من لو ترك الواجب لاستحق الملامة، ولو لامه أحد لناله ضرر، وهو سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون للعقل حكم في أفعاله، أو يلحقه ضرر، وكما لا وجوب عليه لا وجوب عنه، ولا استقباح منه، لأن أفعاله جميعها حسنة، وإن لم يدرك العقل وجه حُسْنه... فلا يجب عليه تعالى الثواب؛ أي: الجزاء على الطاعات، وقالت المعتزلة يجب عليه تعالى؛ لأنه مستحق للعبد على الله بالطاعات فالإخلال به قبيح وهو ممتنع عليه، وإذا كان تركه ممتنعا كان الإتيان به واجبا.

[13] Imām al-Ḥaramayn al-Juwaynī, *Lumaʿ al-Adillah* (Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1987), 122.

ورُدَّ قولهم: بأن الطاعة لا تكافئ النعم السابقة لكثرتها وعظمها وحقارة أفعال العبد وقلتها بالنسبة إليها، والتكليف عندنا ليس لغرض، وقد يكون لضر قوم ونفع آخرين كما هو الواقع، وليس ذلك على سبيل الوجوب، بل هو تفضل على الأبرار، وعدل بالنسبة للفجار.

ولا يجب على الله تعالى العقاب على العاصي، وقالت المعتزلة: يجب عليه زجرا عنها فإن في تركه التسوية بين المطيع والعاصي وهو قبيح، وفيه إذن للعصاة في المعصية وإغراء لهم.

ورد بأن العقاب حقه، والإسقاط فضل، فكيف يدرك امتناعه بالعقل؟ وترك العقاب لا يستلزم التسوية؛ فإنّ المطيع مُثابٌ دون العاصي [14].

وإذا كان الأشاعرة يقولون بجواز الخلف في الثواب والعقاب فإنهم يفرقون بين الجواز العقلي والوقوع الفعلي، أما الجواز العقلي فهو الذي إن تمَّ لم يترتب عليه محال، فليس محالا أن يعذب الله تعالى الطائع، ويثيب العاصي، إذا نظرنا إلي الأمر من زاوية أنه لا يجب علي الله تعالى شيء، بل الكل ملكه، وللمالك أن يفعل في ملكه ما يشاء، وأما الوقوع الفعلي فالمجزوم به عندهم أن الله تعالى سيثيب الطائع فضلا منه تعالى، فيفي به الله تعالى من غير وجوب عليه؛ لأنه وعد بذلك تعالى، وخلف الوعد نقص تنزه الله تعالى عنه حتما.

وأما العقاب فإنه عدل من الله تعالى لأن الكل ملكه، فله أن يتصرف فيه كما يشاء، وله العفو عنه؛ لأنه فضل، وخلف الوعيد لا يعد نقصا، بل يمدح به العقلاء [15].

فمدار الأمر عند الأشاعرة هو الرد على المعتزلة الذين قالوا بأن الله تعالى يجب عليه عقاب العاصي، وإثابة الطائع، ولما كان مذهب الأشاعرة أنه لا يجب على الله تعالى شيء، ومنها عقاب العاصي أو إثابة الطائع؛ لأنه تعالى يتصرف في ملكه كما يشاء، فلا يترتب على هذا محالٌ عقليٌّ كما أوجبته المعتزلة بالعقل، فالهدف الأسمى هو بيان أن العقل الذي قال بالوجوب عليه تعالى هو نفسه العقل الذي قال بأنه فضل أو عدل، ولا شيء من ذلك واجب أبدا، وهذا كله لم يتعد مرحلة الجواز العقلي، أما الوقوع الفعلي فإنه لا يبنى على ما قرره العقل بل على ما أخبر به الشرع، وما أخبر به الشرع أنه تعالى سيثيب الطائع، ويعذب العاصي، ومرد الأمر في الفعل إنما هو للخبر، فلا مجال للقول بأن

[14] Shihāb al-Dīn al-Kīlānī al-Shāfiʿī, *Sharḥ al-ʿAqāʾid al-ʿAḍuḍiyyah*, 65–68.
[15] Ibid., 69.

الأشاعرة يقولون إن الله تعالى سيثيب العصاة، أو يدخلهم الجنة؛ لأن النصوص تضافرت على أنهم في النار خالدين فيها أبدا، وهو ما أجمع عليه الأشاعرة.

أدلة الأشاعرة على جواز خلف الوعيد

استدل الأشاعرة على جواز خلف الوعيد بالمعقول والمنقول: (أما من جهة العقل فهو أن العفو والصفح عن مستحق العقوبة محمود بين العقلاء ومعدود من المكارم والمعالي وصفات الكمال والمدح؛ ولذلك ندب الشارع إليه بقوله تعالى: (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) وقوله تعالى (وأن تعفوا أقرب للتقوى) وإذا كان ذلك من مستحسنات العقول والشرع ممن ينتفع ويتضرر، ويحصل له التشفي والانتقام ودفع أضرار الغيظ بالعقوبة واستيفائها، فاستحباب ذلك من الله تعالى مع تعاليه عن الضرر والانتفاع والتشفي والانتقام أولى، وما كان هذا شأنه فكيف يكون ممتنعا)[16] .

الدليل الثاني: (أن الكريم إذا أخبر بالوعيد فاللائق بكرمه أن يبني إخباره على المشيئة، وإن لم يصرح بها، بخلاف الوعد فإن اللائق بكرمه أن يبني إخباره على الجزم، وعدم التعليق، فلا يلزم الكذب، ولا التبديل) [17].

وأما المنقول: فلقوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء 48 و116] وهو صريح في المطلوب [18].

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له، ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)[19] .

خلف الوعيد بين الكافر والمؤمن العاصي

هذا هو مذهب الأشاعرة في خلف الوعيد وهو أنه يجوز خلف الوعيد لكونه كرما، ولكونه لا يترتب عليه محال، لكن الأدلة الشرعية قد أكدت أن مات على الكفر فهو في النار مخلد فيها، وعليه فالأمر ليس إلا افتراضا عقليا لا أكثر؛ لأن السمع أكد أن ما يقع هو خلاف ما يجيزه العقل، هذا إذا كان الموعود كافرا.

وأما ما يقع فعلا من خلف الوعيد فهو للمؤمن العاصي الذي مات ولم يتب من ذنبه، والدليل على ذلك أن علماء الأشاعرة يفتتحون باب النقاش لهذه المسألة بقولهم: (والذي عليه إجماع المسلمين أن من مات على كفره فهو في

---

[16] Sayf al-Dīn al-Āmidī, *Abkār al-Afkār fī Uṣūl al-Dīn*, vol. 4, p. 364.
[17] Shaykh Ibrāhīm al-Laqqānī, *Hidāyat al-Murīd li-Jawharat al-Tawḥīd*, vol. 1, p. 551.
[18] Sayf al-Dīn al-Āmidī, *Abkār al-Afkār fī Uṣūl al-Dīn*, vol. 4, p. 364.
[19] Shaykh Ibrāhīm al-Laqqānī, *Hidāyat al-Murīd li-Jawharat al-Tawḥīd*, vol. 1, p. 551. See also: Abū Yaʿlā al-Mawṣilī, *Musnad Abī Yaʿlā* (Damascus: Dār al-Maʾmūn, 1984), ḥadīth no. 3316.

النار مخلد أبدا، وقد اختلفوا في أهل الكبائر من المؤمنين إذا ماتوا عليها من غير توبة...) [20]. فالأشاعرة على أن (محل جواز العفو إنما هو في ذنب ليس كفرا، أما ما كان كفرا فلا عفو عنه، والوعيد به على حاله غير مؤول، فالوعيد يجوز أن يتخلف إذا كان داخلا في باب ما يجوز العفو عنه، وخلود الكفار في النار مما يجوز العفو عن الجريمة المرتب هو عليها) [21].

فإذا تقرر هذا المعنى واتضح فليس من حق أحد أن يدعي أن الأشاعرة يقولون بأن مات على الكفر داخل في خلف الوعيد الجائز على الله تعالى؛ لأنه جائز لعصاة المؤمنين، لا لأهل الكفر المعاندين الذين ماتوا على الكفر رغم وضوح البراهين.

المبحث الثالث

فناء النار والرحمة الإلهية

ومما تمسك به البعض في قولهم بفناء النار أن الرحمة الإلهية تشمل جميع الخلق في الدنيا والآخرة حتى من كفر به، وأنكر وجوده رغم وجود الأدلة التي تقوده حتما إلى الله تعالى، ومن هذه الرحمة أن يفني الله النار، أو يوقف العذاب؛ لأنه (إذا قدَّر عذاب لا آخر له، لم يكن هناك رحمة البتة)[22]، (ولأن خلق نفوس تعمل الشر في الدنيا وفي الآخرة لا تكون إلا في العذاب، فهذا تناقض يظهر فيه من مناقضة الحكمة والرحمة ما لا يظهر في غيره) [23]. وقد تناسى هؤلاء أن من قدم الأدلة على ثبوت الشيء وقادك إلى الحقيقة فقد أدى الواجب عليه تجاهك، وأما تصديقك وعدم تصديقك فأنت فيه مختار حر بإرادتك المطلقة تختار اليمين أو اليسار، وبهذا يكون قد رحمك، وتكون أنت الذي رد هذه الرحمة.

وهؤلاء الذين ينكرون أو يرون أن عذاب النار لا يتوافق كمًّا ولا كيفا مع الكفر يتكلمون عن الكفر، ولا يتكلمون عن الإيمان؛ فإذا كنت ترى أن هناك عذابا وأن النار حق فاللازم من هذا أن هناك ربًّا يحاسب ويسأل، ويثيب ويعاقب، فلماذا لا يكون الكلام عن الإيمان كما هو الكلام عن الكفر؟ إن الكافر منكر تماما لوجود الله تعالى، أو اعتقد فيه اعتقادا لا يليق بكماله جل وعلا، وعليه؛ فأيُّ الخِطابيْن أولى: أن تخاطب الكافر بأن يؤمن ويصدق لينجو بنفسه، أم نخاطب الله تعالى الذي ينكر الكافر وجوده أصلا بأن يرحم من كفر به وأنكر وجوده؟

[20] Sayf al-Dīn al-Āmidī, *Abkār al-Afkār fī Uṣūl al-Dīn*, vol. 4, p. 364.
[21] Shaykh Ibrāhīm al-Laqqānī, *Hidāyat al-Murīd li-Jawharat al-Tawḥīd*, vol. 1, p. 553.
[22] Aḥmad ibn ʿAbd al-Ḥalīm Ibn Taymiyyah, *al-Radd ʿalā man qāla bifanāʾ al-Nār*, 82.
[23] Ibid., 83.

ونسأل أيضا: هل الرحمة فقط في عدم العذاب أم الرحمة في إيصال الخير للناس بدء من خلقهم من عَدَمهم، وإمدادهم بالأرزاق، وإرسال الرسل، وتصريف الآيات، والتخويف من قدرة الله تعالى على الانتقام من الظالم، والترغيب في التصديق، أليس كل هذا من باب الرحمة التي سبقت الآخرة؟

إن توجيه الخطاب إلى الحق سبحانه وتعالى بأن يرحم الخلق بناء على رؤيتنا نحن للرحمة لهو غفلة عن مظاهر الرحمة الإلهية التي سبقت الحياة الآخرة، والتي يتقلب فيها العباد ليل نهار، وإذا كنا نوجه الرجاء إلى الله تعالى أن يرحم الكافر، فلماذا لا نوجه الخطاب للكافر بأن يرحم نفسه من هذا العذاب ويؤمن؟

يقول الإمام الرازي في التفسير: (لله تَعَالَى رَحْمَتَانِ سَابِقَةٌ وَلَاحِقَةٌ فَالسَّابِقَةُ هِيَ الَّتِي بِهَا خَلَقَ الْخَلْقَ وَاللَّاحِقَةُ هِيَ الَّتِي أَعْطَى بِهَا الْخَلْقَ بَعْدَ إِيجَادِهِ إِيَّاهُمْ مِنَ الرِّزْقِ وَالْفِطْنَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ تَعَالَى بِالنَّظَرِ إِلَى الرَّحْمَةِ السَّابِقَةِ رَحْمَنٌ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى اللَّاحِقَةِ رَحِيمٌ، وَلِهَذَا يُقَالُ: يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَرَحِيمَ الْآخِرَةِ، فَهُوَ رَحْمَنٌ، لِأَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ أَوَّلًا بِرَحْمَتِهِ، فَلَمَّا لَمْ يُوجَدْ فِي غَيْرِهِ هَذِهِ الرَّحْمَةَ وَلَمْ يَخْلُقْ أَحَدٌ أَحَدًا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَالَ لِغَيْرِهِ: رَحْمَنٌ، وَلَمَّا تَخَلَّقَ الصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِهِ بِبَعْضِ أَخْلَاقِهِ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَطْعَمَ الْجَائِعَ وَكَسَا الْعَارِيَ، وُجِدَ شَيْءٌ مِنَ الرَّحْمَةِ اللَّاحِقَةِ الَّتِي بِهَا الرِّزْقُ وَالْإِعَانَةُ فَجَازَ أَنْ يُقَالَ لَهُ رَحِيمٌ)[24] .

أخبار العذاب يسبقها أو يتبعها بيان أسبابه وتعليل أحكامه

من رحمة الله بالعباد أنه أكثر من ذكر النار تنبيها وتحذيرا، وبيَّن أسباب ولوجها واستحقاق العذاب فيها؛ حتى لا يكون لأحد حجة بعد ذلك في كفر، أو عناد، فعندما يخبرنا الله تبارك وتعالى عن أهل النار حكما فإنه يبين لنا سبحانه لماذا كان هذا الحكم وما علته، ليتبين للعاقل ما الذي يمكن أن يكون سببا في دخوله النار أولا، وليقدم لنا علة هذا الحكم الذي يراه البعض قاسيا يتعارض والرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، وآيات القرآن الكريم عن العذاب كلها مشتملة على هذا التعليل، وذلك البيان، ومن هذه الأسباب:

الكفر والتكذيب بآيات الله (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) [البقرة: 39].

الإصرار على الكفر لآخر لحظة (بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنارِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) [البقرة: 81].

[24] Fakhr al-Dīn al-Rāzī, *Mafātīḥ al-Ghayb* (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1420H), vol. 29, p. 236.

الشرك بالله تعالى (وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ) [البقرة: 167].

استبدال الضلال بالهدى واختيار العذاب بدل المغفرة (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ) [البقرة: 175]

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى لا يقرر الحكم عليهم بأنهم من أهل النار إلا بعد أن يذكر حيثيات الحكم ومبرراته؛ لأنه تعالى عدل،،ولا يظلم أحدا، والمتأمل في هذه الآيات يلحظ أنها كلها قد اشتملت على أسباب دخول النار؛ سواء أكانت مصرحا بها، أم مذكورة ضمن وصف لهم بأنه كفار، مشركون، مكذبون، اتخذوا من دون الله تعالى آلهة، وهذه كلها أسباب وعلل لما توعدهم الله تعالى به من العذاب، فما يُفهم من هذه الآيات أن الله تعالى لم يعذبهم بدون سبب، وإنما عذبهم بسبب كفرهم، وقد ذكر ربنا سبحانه وتعالى في بعض الآيات تعليل وقوعهم في الكفر، فبيّن أن كفرهم كان بسبب الكبر، أو العناد، أو الجحود، أو الاستعلاء والظلم، أو حبهم وشغلهم بالدنيا، أو اتباعهم الأعمى لغيرهم ممن وثقوا فيهم لأي سبب كان؛ مع أن الله تعالى أعطاهم العقول التي بها يرجحون بين الحق والباطل، لكنه الهوى فعل بهم الأفاعيل، فأي رحمة يستحقها هؤلاء المعاندين؟ وهل هذا إلا فتح لباب الاغترار والفساد في الأرض لأمن العقوبة؟

الكافر هو الذي أبعد نفسه عن الرحمة

الكافر هو الذي أبعد نفسه عن الرحمة وجعلها تستحق العذاب، قال الإمام الرازي في التفسير: (هُوَ الَّذِي خَيَّبَ نَفْسَهُ عَنِ الرَّحْمَةِ وَهُوَ الَّذِي أَضَلَّ نَفْسَهُ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَقْدَمَ عَلَى الْكُفْرِ بِاخْتِيَارِهِ فَقَدْ خَيَّبَ نَفْسَهُ عَنِ الرَّحْمَةِ، وَأَضَلَّ نَفْسَهُ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ) [25].

مظاهر الرحمة الإلهية بالخلق أجمعين

ومن مظاهر رحمة الله تعالى بالخلق أجمعين:

أن جعل العذاب معلقا على إرسال الرسل، قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) [الإسراء 15]

أن جعل من لم تصله الرسالة كاملة ناجيا باعتباره من أهل الفترة [26].

[25] Fakhr al-Dīn al-Rāzī, *Mafātīḥ al-Ghayb* (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1420H), vol. 29, p. 236.
[26] Shaykh Ibrāhīm al-Laqqānī, *Hidāyat al-Murīd li-Jawharat al-Tawḥīd*, vol. 1, p. 250.

أن جعل من شهد بالإيمان قبل وفاته مباشرة مات على الإسلام (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) [27].

أن جعل من حارب الإسلام وقتل المسلمين ثم دخل في الإسلام فالإسلام يجُبُّ ما قبله، ولا يطالب بشيء فعله قبل ذلك. (ضَحِكَ اللَّهُ عز وجل مِنْ رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ دَخَلَا الْجَنَّةَ)[28] .

النصيحة الصادقة أم الاتكال على واسع الرحمة

نحن الآن أمام صنفين من الناس؛ صنف هو مسلم يرى أن هذه الطريقة في الدعوة إلى الله تعالى تفتح الباب أمام غير المسلمين للدخول في الإسلام وترغبهم في اعتناقه، وصنف هو كافر لا يؤمن أصلا بالله تعالى الذي وسعت رحمته كل شيء، فكلام المسلم عن أن باب الرحمة واسع يدخل منه كل الخلق لأنهم خَلْقه، وهو الرحيم بهم، لا يجعل الكافر يترك كفره ليدخل في الإيمان. فإذا كان أنه سيدخل الجنة مهما بقي على كفره، فلماذا يترك الكفر ويدخل في الإيمان؟ خاصة وأن الإيمان يترتب عليه تكاليف كثيرة مرهقة، قد لا يقوم بحقها، ويترتب عليها عقوبات في الإسلام، وكذلك قد تكون هذه الطريقة سببا في أن يقصر المسلم في عمله وعبادته اتكالا على واسع الرحمة التي ستشمل الكافر، أفلا تشمل المؤمن نفسه؟ فنكون بذلك أغرينا المسلمين في التقصير في دينهم وواجباتهم، ولم نرغِّب الكافر في الدخول في الإيمان.

ولو أن والدا قال لولده ذاكر واجتهد وحقِّقْ أعلى الدرجات، وقد وفرت لك كل الوسائل التي تعينك على التفوق، وإن لم تتفوق مع كل ذلك فعقابك كذا وكذا، فجاء الولدَ رجلٌ وقال له: لا تخش من عقابه فإنه أبوك في النهاية ولن يرضى أن يعاقبك، قم والعبْ واستمتع بوقتك، فهل هذا الإنسان ناصح أم مضلل؟

إن الناصح هو الذي يقول له: أطع أباك فقد وفر لك كل ما تحتاج، وأعطاك ما يهيئ لك الاستمتاع بحياتك فيما ينفع، واجتهادك يعود عليك لا عليه، فأنت الذي تجني ثمرة عملك، ونتيجة اجتهادك.

أما المضلل فهو الذي يغريه بترك العمل وإهمال الواجب والإسراف في الملذات والشهوات اتكالا على واسع الرحمة، ولكن العقاب عندها سيكون عدلا (جزاء وفاقا إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا). [النبأ 26- 29]

---

[27] Abū Dāwūd al-Sijistānī, *al-Sunan al-Kubrā* (Beirut: Dār al-Risālah al-ʿĀlamiyyah, 2009), vol. 5, p. 34, ḥadīth no. 3116.

[28] ʿAlī ibn ʿUmar al-Dāraqūṭnī, *al-Ṣifāt* (Dammam: Dār Ibn al-Jawzī, 1983), 70, ḥadīth no. 31.

فالخلاصة أن الذي يقول بأن رحمة الله ستشمل الكافر فينجو من النار رغم كفره يغري المسلم بترك الإسلام ولا يُقنِع الكافر بالدخول في الإسلام، طالما أنه سينجو بدون تعب ولا تكاليف، ويكفيك في هذا قول الله تعالى: (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين، أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) [آل عمران 86-89].

وقد ذهبت المعتزلة إلى أن الله تعالى يجب عليه أن يظهر للعباد العقاب المترتب على تركهم للطاعة وفعلهم للمعاصي، لأنه: (لو لم يعلم المكلف استحقاقه للعقاب على تقدير فعله لكان ذلك من الله تعالى إغراء للمكلف بفعل القبيح فيكون قبيحا وهو على الله تعالى محال) وقد وجّه الآمدي هذا القول من المعتزلة لكونهم بنوه على التحسين والتقبيح العقليين الباطلين عند الأشاعرة، فوجهه الآمدي توجيها يتفق مع أهل السنة فقال: (ليس كذلك؛ بل لو قيل: إن خلق الشهوة مع المنع باستحقاق العقاب يكون إغراء، كان أولى، على ما قيل: المرء حريص على ما منع)[29] .

فانظر إلى كلام العلماء معتزلة كانوا أم سنة في أن من أمن العقوبة أساء الأدب، فمن ركبت فيه الشهوة ولم يكن له رادع من عقاب أو وعيد، تجاوز الحد جدا، فكيف ساغ لمن أنكر تأبيد العذاب أن يدعي أن هذا أدعى للكافر أن يسلم مع وجود التكاليف وما فيها من تعب ومشقة.

المبحث الرابع

الرد على من قال بفناء الجنة أو النار

استدل الأشاعرة على عدم فناء الجنة ولا النار بالنقل والإجماع (فالدليل على عدم فنائهما وأنهما باقيتان لا تفنيان ولا يفني أهلهما قوله تعالى في حق أهلهما: (خالدين فيها أبدا)[30] . وأما قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) (القصص 88) فلا ينافي بقاؤهما؛ لأن الهلاك لا يستلزم الفناء، بل يكفي الخروج عن الانتفاع، ولو سُلم فيجوز أن يكون المراد أن كل ممكن هالك في حد ذاته بمعنى أن الوجود الإمكاني بالنظر إلى الوجود الواجب بمنزلة العدم.

ويخلد المؤمن في الجنة والكافر في النار لما ورد في الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن الذي يدخل الجنة يخلد فيها وأن الكافر مطلقا سواء كان معاندا أو بالغ في الاهتداء ولم يهتد للإيمان يُخلّد في النار وعذابها [31].

---

[29] Sayf al-Dīn al-Āmidī, *Abkār al-Afkār*, vol. 4, p. 354.
[30] Qur'an 4:57, 4:122; 5:119; 9:22, 9:100; 64:9 (regarding the people of Paradise); and 4:169; 33:65; 72:23 (regarding the people of Hell).
[31] Al-Kīlānī al-Shāfiʿī, *Sharḥ al-ʿAqāʾid al-ʿAḍuḍiyyah*, 84–85.

وقد زعمت الجهمية فناء الجنة والنار كليهما [32]، وزعم أحد [33]. علماء المعتزلة أن نعيم الجنة ولذّاتها يفنى وعقاب أهل النار أيضا يفنى، ثم قال: وليس يفنى عين الجنة والنار. وقد بنى هذا المذهب على القول بتناهي المقدورات. فهو وإن كان لا يقول بفناء الجنة والنار إلا أنه يقول بفناء العذاب والنعيم، وهذا ما لم يقل به أحد ولا دل عليه نص من النصوص.

الرد على هذا الرأي

قال في شرح الإرشاد (ومن قال هذه المقالة محجوج بإجماع الأمة، وقد أقمنا الدلالة على نفي النهاية عن المقدورات وفي الحديث: (أنه يؤتى بالموت يوم القيامة على هيئة كبش أملح يعني أبيض فيذبح بين الجنة والنار وينادي منادٍ: يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت) [34]. وقد قال تعالى في صفة أهل الجنة: (وما هم منها بمخرجين) [الحجر 48] وقال في أهل النار (وما هم بخارجين من النار) [البقرة 167] (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) [النبأ 30]، وإجماع الأمة أقوى معتصم لنا فيما صرنا إليه [35].

دليل الأشاعرة على عدم تناهي مقدوراته تعالى

يرى الأشاعرة أنه: لو تناهت المقدورات؛ مع أن العقل يقضي بجواز وقوع أمثال ما وقع، والجائز وقوعه لا يقع بنفسه من غير تقدير مقتض؛ وفي قصر القدرة على ما تناهى إخراجُ أمثاله عن إمكان الوقوع أزلا؛ إذ لا يقع حادث إلا بالقدرة، ومساق ذلك يجر إلى جمع الاستحالة، والإمكان فيما علم فيه الإمكان، وبيان هذا أن الإمكان لا حصر له؛ لأن ما جاز وقوعه لم يمتنع وقوع مثله وأمثاله؛ لوجوب استواء المتماثلات في الصفات النفسية فثبت أن رقعة الإمكان متسعة؛ فإذا جاز هذا فالجائز لا يقع بنفسه من غير مقتض؛ إذ لو وقع بنفسه لوقع كل جائز، وذلك محال.

وإذا ثبت أن الجائز إنما يتميز عن المستحيل بتصوير وقوعه، وصحة وجوده، ويستحيل وجوده من غير مقتضٍ، ولا مقتضي إلا القدرة ففي قصر القدرة على ما تناهي واختصاصها ببعض الأجناس إخراج أمثاله عن إمكان الوقوع؛ إذ ثبت أن لا يقع حادث إلا بالقدرة، وذلك هو الجمع بين الاستحالة والإمكان فيما علم فيه الإمكان، فإن الممكن

[32] ʿAbd al-Qāhir al-Baghdādī, *al-Farq bayna al-Firaq* (Beirut: Dār al-Āfāq al-Jadīdah, 1977), 319.
[33] He is Abū al-Hudhayl al-ʿAllāf (d. 235 AH / 850 CE).
[34] Muḥammad ibn Ismāʿīl al-Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (Damascus: Dār Ibn Kathīr, 1993), ḥadīth no. 4730.
[35] Abū al-Qāsim al-Anṣārī, *Sharḥ al-Irshād*, vol. 4, p. 344.

ما يجوز وقوعه، والمستحيل ما يمتنع وقوعه، وتقدير ممكن تتقاصر عنه القدرة جمع بين الإمكان والاستحالة في الشيء الواحد وذلك محال [36].

وقيل: تناهي المقدور يدل على حدوث القادر [37].

وفي الغنية في الكلام: وإذا ثبت أن الممكنات لا نهاية لها، فالمقدورات لا نهاية لها، فالقدرة القديمة شاملة لكل ممكن، ولو قدر اختصاصها ببعض الممكنات لدل ذلك على حدوثها؛ إذ لا تختص بالبعض إلا لمخصص يخصصها به [38].

وذهب بعض المعتزلة إلى رأي آخر وهو: (إنما يجب خلود نعيم من علم الله تعالى أنه لو أبقاه في دار الدنيا لبقي على إيمانه، وكذلك إنما يجب خلود عذاب من علم الله تعالى منه أنه لو أبقاه في الدنيا أبدا لبقى على كفره أبدا، ولا يخلد من لم يعلم منه ذلك)[39] .

وقد أجاب الأشاعرة عليه بأن هذا القول (حاصله يرجع إلى إيجاب الثواب الأبدي، والعقاب الأبدي في مقابلة ما كان يجوز أن يقع وإن لم يقع، وفيه إيجاب الثواب والعقاب من غير طاعة ولا معصية، وهو خلاف أصول المعتزلة، ثم يلزم من ذلك أن من مات على كفره وقد علم الله أنه لو أحياه لآمن وأطاع طول دهره أن يثيبه على ذلك، وكذلك من مات على إيمانه وقد علم الله أنه لو أحياه لكفر أن يعاقبه ويخلده في النار، وكل ذلك خبط وتخليط خارج عن أصول القوم) [40].

فناء النار عند ابن تيمية ومن تبعه

نُسب للشيخ ابن تيمية قوله بفناء النار، وإن كان لم يوجد له قول صريح في هذا إلا أن تلميذه ابن القيم صرح بأن هذا هو مذهبه في المسألة [41]. ونصر هذا القول بأدلة كثيرة، وقد رد على ابن تيمية ومن تبعه ابن السبكي في كتابه الاعتبار ببقاء الجنة والنار [42]، وهما بذلك قد خالفا جمهور الأمة، فلا اعتبار بقولهما، ولسنا في حاجة إلى إعادة أقوالهما لكونها قد صنف في الرد عليهما.

---

[36] Ibid., vol. 2, p. 482.
[37] Ibid., vol. 2, p. 483.
[38] Abū al-Qāsim al-Anṣārī, *al-Ghunyah fī al-Kalām* (Cairo: Dār al-Salām, 2010), vol. 1, p. 469.
[39] Al-Āmidī, *Abkār al-Afkār fī Uṣūl al-Dīn*, vol. 4, p. 355. The holder of this view is al-Ṣāḥib ibn ʿAbbād (d. 385 AH).
[40] Ibid., vol. 4, p. 359.
[41] Muḥammad ibn Abī Bakr Ibn al-Qayyim, *Hādī al-Arwāḥ ilā Bilād al-Afrāḥ* (Cairo: Maṭbaʿat al-Madanī).
[42] Taqī al-Dīn ʿAlī al-Subkī, (Cairo: Maktabat al-Īmān, 1987).

فالحاصل أن الجنة والنار وما تعلق بهما من عقائد غيبيات لا تعرف أخبارها إلا من خبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، وقد توافرت النصوص من القرآن والسنة على خلود أهليهما وعدم فنائهما، فمتى ما جاء قول يخالف هذه النصوص القطعية التي لا تقبل التأويل فهو مردود مهما كان قائله، ومهما كانت أدلته.

الخاتمة

بعد أن تبين أن النار لن تفنى وأن العذاب مؤبد، يجوز لنا أن نسأل: على فرض صحة الادعاء بأن النار ستفنى، وأن العذاب ينتهي بفنائها وفناء من فيها؛ أليس النعيم الدائم أفضل من الفناء؟

إن احتمالات الجزاء في الآخرة ليس له إلا وجهان فقط: جنة ونعيم دائم، أو: عذاب ثم فناء، وعلى هذا يكون الدنيا في مقابل الآخرة هكذا:

عمر محدود + طاعة= نعيم دائم لا يفنى.

عمر محدود + معصية (كفر)= عذاب مؤقت ثم فناء

فإذا كانت هذه هي الاحتمالات أليس العقل يرجح الطاعة التي يعقبها نعيم دائم على المعصية التي يعقبها عذاب مؤقت ثم فناء.

إن العقل لا شك يرجح النعيم الدائم الذي يسبقه طاعة على المعصية التي يتبعها عذاب مقيم، فما بالك إذا كان العذاب دائما لا ينقطع؟

عمر محدود + معصية (كفر)= عذاب دائم.

إن الواجب على المسلمين جميعا وأهل الدعوة خاصة أن يبينوا للناس حقيقة الوعيد الذي قرره الله سبحانه وتعالى بالكافرين أي: من مات على الكفر، وليس أن يبرروا للناس معاصيهم، فذلك أدعى لهم على أن يبقوا في كفرهم وأن لا يتركوه أبدا؛ فطالما أن العذاب منته وأن النار فانية وأن الألم منقطع فليفعل من شاء ما شاء، فلعذابه نهاية ولألمه حد، والشهوات تعصف بالعباد عصفا، ولو لم يكن لها ردع وترهيب لما انتهى العصاة عن معاصيهم، وما توقف البغاة عن بغيهم .

وخلاصة البحث تتحدد في النقاط التالية:

أولا: الجنة والنار موجودتان الآن كما أخبر بذلك القرآن والسنة.

ثانيا: خلقهما ليس عبثا وإنما هو من باب الترغيب والترهيب.

ثالثا: الجنة والنار من المخلوقات التي يستثنيها الله تعالى من الفناء يوم القيامة.

رابعا: من مات مؤمنا بالله تعالى دخل الجنة خالدا فيها، ومن مات كافرا بالله تعالى بعد أن وصلته الرسالة كاملة صحيحة دخل النار مخلدا فيها.

خامسا: خُلْف الوعيد وإن كان يجوز عقلا عند الأشاعرة إلا أنه لن يقع؛ لأن النصوص الصحيحة قد أكدت أن الكافر في النار مخلدا فيها، فصار الجائز العقلي بمثابة المستحيل لغيره وهو النصوص القطعية. وأما خلف الوعيد لعصاة المؤمنين فجائز عقلا وسمعا.

سادسا: مقدورات الله تعالى لا نهاية لها فثبت أن نعيم أهل الجنة دائم كما أخبرت النصوص وكذلك العذاب.

سابعا: رحمة الله تعالى بالعبيد قد سبقت وجودهم، وأما الرحمة بعد التكليف ووصول الرسالة فمتوقفة على الإيمان واتباع نبي زمانه.

ثامنا: الإخلاص في النصيحة يكون ببيان الحقيقة، وليس بالتغرير بالرحمة، والعفو الإلهي.

References:

Al-Amidi, Saif al-Din. *Abkar al-Afkar*. Cairo: Dar al-Kutub wa al-Watha'iq al-Qawmiyyah, 2004.

Al-Ansari, Abu al-Qasim. *Al-Ghunyah fi al-Kalam*. Cairo: Dar al-Salam, 2010.

Al-Ansari, Abu al-Qasim. *Sharh al-Irshad*. Kuwait: Dar al-Dhiya', 2020.

Al-Baghdadi, 'Abd al-Qahir. *Al-Farq bayna al-Firaq*. Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah, 1977.

Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il. *Sahih al-Bukhari*. Damascus: Dar Ibn Kathir, 1993.

Al-Daraqutni, 'Ali ibn 'Umar. *Al-Sifat*. Dammam: Dar Ibn al-Jawzi, 1983.

Al-Hamadhani, 'Abd al-Jabbar. *Sharh al-Usul al-Khamsah*. Cairo: Maktabat Wahbah, 1996.

Al-Hamadhani, Qadi 'Abd al-Jabbar. *Al-Mughni fi Abwab al-Tawhid wa al-'Adl*. Cairo: Dar al-Ma'arif.

Al-Jawhari, Abu Nasr. *Al-Sihah Taj al-Lughah wa Sihah al-'Arabiyyah*. Beirut: Dar al-'Ilm li al-Malayin, 1987.

Al-Juwayni, Imam al-Haramayn. *Luma' al-Adillah*. Beirut: 'Alam al-Kutub, 1987.

Al-Laqqani, Ibrahim. *Hidayat al-Murid li Jawharat al-Tawhid*. Cairo: Dar al-Basa'ir, 2009.

Al-Mawsili, Abu Ya'la. *Musnad Abi Ya'la*. Damascus: Dar al-Ma'mun, 1984.

Al-Nadi, 'Arafah 'Abd al-Rahman. "Al-Jannah wa al-Nar: Thubutuhuma wa Baqa'uhuma bayna Ahl al-Sunnah wa al-Mukhalifin." *Hawliyyat Kulliyat Usul al-Din, Jami'at al-Azhar*, 2020.

Al-Naysaburi, Muslim ibn al-Hajjaj. *Sahih Muslim*. Cairo: Matba'at 'Isa al-Babi al-Halabi, 1955.

Al-Razi, Fakhr al-Din. *Mafatih al-Ghayb*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 1420 H.

Al-Shafi'i, Shihab al-Din al-Kilani. *Sharh al-'Aqa'id al-'Adudiyyah*. Tunis: Dar Ibn 'Arafah.

Al-Shahrastani, Muhammad ibn 'Abd al-Karim. *Al-Milal wa al-Nihal*. Cairo: Mu'assasat al-Halabi.

Al-Sijistani, Abu Dawud. *Al-Sunan al-Kubra*. Beirut: Dar al-Risalah al-‘Alamiyyah, 2009.
Al-Subki, Taqi al-Din ‘Ali. *[Title not provided]*. Cairo: Maktabat al-Iman, 1987.
Al-Taftazani, Sa‘d al-Din. *Sharh al-Maqasid*. Beirut: ‘Alam al-Kutub, 1419 H / 1998 CE.
Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. *Hadi al-Arwah ila Bilad al-Afrah*. Cairo: Matba‘at al-Madani.
Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn ‘Abd al-Halim. *Al-Radd ‘ala man qala bifana’ al-Jannah wa al-Nar*. Riyadh: Dar Balansiyyah, 1995.